أخلاقيات البيئة في الفكر الفلسفي عند ابن إسحاق الكندي – دراسة تحليلية

د. عفاف مصباح احمد بلق*
كلية الآداب العجيلات، جامعة الزاوية
البريد الالكتروني:e.balg@zu.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/10/2م تاريخ القبول 2025/11/1م

Environmental Ethics in the Philosophical Thought of Ibn Ishaq al-Kindi: An Analytical Study

Efaf Misbah Ahmed Balq*
Faculty of Arts, University of Al-Zawiya, Libya

Abstract:

This research aims to examine environmental ethics in the philosophical thought of the Arab Muslim philosopher Abu Yusuf Ya'qub ibn Ishaq al-Kindi (d. 252AH/ 866CE), considered one of the first Muslim philosophers to seek to construct a comprehensive vision of the universe, humanity, and nature. The main problem of the research stems from the question: To what extent did al-Kindi contribute to laying the foundations for an ethical environmental philosophy in Islamic thought?

The research relied on the analytical deductive approach through analyzing Al-Kindi's philosophical treatises and extracting the ontological and ethical foundations that reflect his vision of the relationship between man and nature, in addition to the historical approach to trace the context of the emergence of this vision within Islamic philosophy in the third century AH.

The research concluded that Al-Kindi presented a comprehensive philosophical conception of the environment through his analysis of the five essential elements (matter, form, space, movement, and time), his vision of the unity of cosmic existence, and the consequent necessity of human harmony with the ecosystem. His letters also highlighted the idea of balance and harmony, and considered the disruption of nature a form of corruption that humans must avoid.

This vision reveals an early philosophical awareness that intersects with what is known today as environmental ethics. It confirms that Islamic

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

philosophical thought contains valid ethical foundations for rereading contemporary environmental issues from a civilizational and authentic perspective.
Keywords: (Al-Kindi - philosophy - environment - balance - harmony - universe - ethics).

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أخلاقيات البيئة في الفكر الفلسفي عند الفيلسوف العربي المسلم أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 252هـ/866م)، باعتباره من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين سعوا إلى بناء رؤية شاملة للكون والإنسان والطبيعة. تنطلق الإشكالية الرئيسة للبحث من التساؤل: إلى أي مدى أسهم الكندي في وضع لبنات أولية لفلسفة بيئية أخلاقية في الفكر الإسلامي؟

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي من خلال تحليل رسائل الكندي الفلسفية واستخراج الأسس الأنطولوجية والأخلاقية التي تعكس رؤيته للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، إلى جانب المنهج التاريخي لتتبع سياق نشأة هذه الرؤية داخل الفلسفة الإسلامية في القرن الثالث الهجري.

وقد خلص البحث إلى أن الكندي قدّم تصورًا فلسفيًا متكاملًا للبيئة من خلال تحليله للجواهر الخمسة (المادة، الصورة، المكان، الحركة، الزمان)، ورؤيته لوحدة الوجود الكوني، وما يترتب عليها من ضرورة انسجام الإنسان مع النظام البيئي. كما أبرزت رسائله فكرة التوازن والانسجام، واعتبرت الإخلال بالطبيعة نوعًا من الفساد الذي يجب على الإنسان اجتنابه. وتكشف هذه الرؤية عن وعي فلسفي مبكر يتقاطع مع ما يُعرف اليوم بأخلاقيات البيئة، ويؤكد أن الفكر الإسلامي الفلسفي يحتوي على أسس أخلاقية صالحة لإعادة قراءة القضايا البيئية المعاصرة من منظور حضاري وأصيل.
الكلمات المفتاحية: (الكندي – الفلسفة – البيئة – التوازن – الانسجام – الكون – الأخلاقيات).

مقدمة:

لقد كان أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 252هـ/866م)، الملقب بـ"فيلسوف العرب"، في مقدمة الفلاسفة الذين سعوا إلى تأسيس رؤية عقلية ومنهجية شاملة للكون والإنسان والطبيعة، فلم يكن الكندي مجرد ناقل للفكر اليوناني، بل أعاد توظيفه في ضوء موروثاته المعرفية الإسلامية، فقد حاول التوفيق بين العقل والنقل، وبين الضرورة الطبيعية والرؤية الفلسفية والفكرية، ومن هنا برزت نظرته الأخلاقية التي

تعكس وعيه العميق بمسؤولية الإنسان تجاه ما حوله، وتكشف عن بعدٍ فلسفي يتقاطع مع ما يُعرف اليوم بأخلاقيات البيئة.

ولقد شهدت القضايا البيئية وما يتعلق بها من أخلاقيات نُسبت إلى الفكر الفلسفي في عصرنا الحاضر حضورًا متزايدًا، حيث أصبحت التحديات البيئية من أبرز ما يهدد استقرار الإنسان والطبيعة معًا، كما ظهر الاهتمام بالفكر البيئي على أنه ظاهرة حديثة قد ارتبطت بمظاهر التقدم التكنولوجي والصناعي، وما نتج عنها من أزمات بيئية، فإن النظرة الفلسفية إلى علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي قديمة قِدَم الفلسفة ذاتها، فقد انشغل الفلاسفة المسلمون وعلى رأسهم ابن إسحاق الكندي، منذ البدايات الأولى للفكر الفلسفي الإسلامي بدراسة الوجود وموقع الإنسان فيه، محاولين بناء رؤية تنسجم مع التصور الكوني والشرعي للخلق.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في الدراسات الفلسفية الإسلامية في سد الفراغ البحثي والأكاديمي فيما يتعلق بأخلاقيات البيئة، حيث لم تحظى القضايا البيئية بالاهتمام الكافي في الأبحاث العلمية، وتحديداً في إطار الفكر الفلسفي العربي القديم، ومن خلال تحليل تصور الكندي للطبيعة والكون، يمكن الكشف عن بعض الأسس والأصول الفكرية التي تمثل رؤية فلسفية قديمة بعض الشيء، حول مكانة البيئة والعلاقة المتبادلة بينها وبين الإنسان. كما يمثل ابن إسحاق الكندي مرحلة تأسيسية في الفكر الفلسفي الإسلامي، كما أن التعرض لدراسة آرائه حول البيئة سيكشف عن ملامح فكرية سبّاقة مقارنة بالخطاب البيئي المعاصر، مما يتيح إعادة قراءة التراث الفلسفي الإسلامي من منظور جديد يبرز صلاحيته في معالجة القضايا الراهنة.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولة الكشف عن الأسس الأخلاقية المرتبطة بفلسفة البيئة، والتي بني عليها ابن إسحاق الكندي العلاقة الوطيدة التي تربط بين الإنسان والبيئة، ومدى قدرة هذا المفهوم على تقديم إطار فلسفي متكامل، وعلى الرغم من أن الدراسات الفلسفية قد ركّزت غالبًا على دور الكندي في التأسيس للفلسفة الإسلامية، إلا أن الجانب الأخلاقي المتعلق بالبيئة لم يُدرس بالتحليل الكافي، ومن هنا نجد أن التساؤل الرئيسي لهذا البحث يتمثل في هذا السؤال : إلى أي مدى أسهم الكندي في وضع لبنات أولية لفلسفة بيئية أخلاقية في الفكر الإسلامي ؟

وقد يتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية، من أهمها:

1. ما الأسس الفلسفية التي اعتمدها الكندي في نظرته إلى الكون والطبيعة؟
2. كيف صاغ الكندي العلاقة بين الإنسان والعالم الطبيعي في ضوء مبادئه الفلسفية والأخلاقية؟
3. ما الملامح الأخلاقية التي يمكن استخراجها من فكر الكندي وتوظيفها في إطار ما يُعرف اليوم بأخلاقيات البيئة؟

أهداف البحث:

تتخلص أهداف البحث في بعض النقاط الرئيسية، ومن بينها:

1- دراسة الأسس الفلسفية التي بنى عليها الكندي نظرته إلى الطبيعة والكون، من خلال دراسة تصوراته الميتافيزيقية والعقلية للكائنات والعلاقات الكونية.
2- استخلاص ملامح العلاقة بين الإنسان والبيئة في فلسفة الكندي، وبيان كيف تتكامل هذه العلاقة ضمن رؤيته الأخلاقية والفكرية.
3- البحث في الأبعاد الأخلاقية في فكر الكندي التي تتعلق بالطبيعة والوجود، ومدى وضعها في بناء تصور إسلامي مبكر لأخلاقيات البيئة.
4- العمل على تقييم إسهامات الكندي في بناء رؤية فلسفية إسلامية مرتبطة بالبيئة، لإبراز قيمة التراث الفلسفي الإسلامي في معالجة القضايا البيئية الحديثة.

أسباب اختيار رسائل الكندي:

يعد السبب الرئيسي لاختيار رسائل الكندي الفلسفية لتكون هي المادة الأساسية لهذا البحث إلى عدة أسباب، من أهمها ما يلي:

أولاً: المكانة الفلسفية للكندي، حيث يعد الكندي أول فيلسوف عربي مسلم سعى إلى بناء منظومة فلسفية عقلية متكاملة، جعلته قادراً على تقديم رؤية شاملة عن علاقة الإنسان بالكون والطبيعة، الأمر الذي يتيح استجلاء أبعاد أخلاقية وبيئية مبكرة في فكره.

ثانياً: التنوع الكبير في رسائل الكندي، حيث تتناول رسائله موضوعات متعددة كالميتافيزيقا، والعلوم الطبيعية، والأخلاق، مما يوفر أرضية خصبة لتحليل تصوره لعالم الطبيعة وربطه بالجانب الأخلاقي، وهو ما يمثل مدخلاً لدراسة أخلاقيات البيئة في إطار فلسفي.

ثالثاً: اهتمامه بالبعد التحليلي والفكري، حيث تحمل نصوص الكندي إشارات واضحة إلى ضرورة انسجام الإنسان مع النظام الكوني، مما يفتح المجال للكشف عن

الأسس الأنطولوجية والأخلاقية التي يمكن استثمارها في معالجة قضايا البيئة المعاصرة.

الدراسات السابقة:

لقد كانت هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت بعض الجوانب من أخلاقيات البيئة في الفكر الفلسفي بوجه عام أو الفكر الفلسفي الإسلامي على سبيل الخصوص، إلا أنه لا توجد أي دراسة أو بحث – في حدود ما نعلم – قد تناولت هذا الموضوع بالتحديد، ومن بين هذه الدراسات السابقة نذكر ما يلي:

أولاً: أخلاقيات البيئة في الفكر الفلسفي، بحث ترقية، للدكتور إمام عبد العاطي الخضراوي، بكلية الشريعة والقانون، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية، منشور في المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، المجلد 39، ديسمبر 2020 م.

وقد خلُص البحث إلى أن البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويعتمد عليه في مقوّمات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى. وفيها يمارس أنشطته المختلفة، فهي المحيط الذي يشكّل أساس وجوده واستمراره. والإنسان هو الكائن الوحيد القادر على تعمير البيئة وتنميتها، لذلك حظيت البيئة باهتمام الفلاسفة والمفكرين قديمًا وحديثًا، الذين سعوا إلى دراسة مشكلاتها وإيجاد الحلول لها، ودعوا إلى إقامة التوازن بين حاجات الإنسان وسيطرته على البيئة من جهة، وبين حسن استغلال مواردها والحفاظ عليها من جهة أخرى. وقد وقف الفلاسفة والمفكرون عبر العصور مواقف جادة وواضحة تجاه قضايا البيئة، فوضعوا أسسًا نظرية وإجراءات عملية للحد من مشكلاتها. كما أن الحضارات الإنسانية القديمة في الصين والهند ومصر والعراق وضعت قواعد وأفكارًا مهمّة ذات بعد بيئي، خاصة فيما يتعلق بترشيد استغلال الموارد الطبيعية والمحافظة عليها.

ثانيًا: النظرة الكلية لأخلاق الأرض عند ألدو ليوبولد ـ بحث في الأخلاقيات البيئية، بحث ترقية، للدكتور مصطفى عبد الرؤوف راشد، والدكتور وائل أحمد عبد الله صبرة، كلية الآداب – جامعة سوهاج – مصر – حولية كلية الآداب – جامعة بني سويف، مجلد 12، عام 2023 م.

وقد خلُص البحث إلى أن الفيلسوف الأمريكي وعالم البيئة "ألدو ليوبولد" يرى أن البشر ليسوا سوى مكوّنات ضمن المنظومة الكلية لكوكب الأرض، وعليهم أن يعيشوا في انسجام مع مواردها الطبيعية، وينبغي أن يقوم هذا التوجّه على مبدأ الاحترام

والانسجام مع الطبيعة، بعيدًا عن استنزافها أو تدميرها، فمفهوم البيئة عند ليوبولد يفرض على الإنسان أن يغيّر من نظرته إليها، وألّا يعتبر نفسه مركز الكون أو المتحكّم المطلق فيها، بل أن ينظر إلى نفسه باعتباره جزءًا من المجتمع الحيوي، وعليه تقع مسؤولية الحفاظ على التوازن البيئي واستدامته.

ثالثاً: أخلاق البيئة عند ألدو ليوبولد، وآرني نايس، بحث ترقية، للدكتورة سماح عبد الحكيم سيد، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 67، يونيو 2023 م

وقد خلُص البحث إلى أن البيئة هي الوسط المكاني والثقافي والسياسي والاجتماعي الذي يحيط بالإنسان ويؤثر فيه كما يتأثر به، وهي الملاذ الوحيد الذي يضمن استمرارية وجوده. وقد شدّد "بولد" على ضرورة ضبط حرية الفعل الإنساني في سعيه للبقاء، بحيث لا يقتصر حفاظه على ذاته فحسب، بل يشمل أيضًا الكائنات غير البشرية، باعتباره عضوًا متساويًا مع باقي الكائنات في مجتمع الأرض. وانطلاقًا من هذا التصور، يرى أن للإنسان واجبًا أخلاقيًا في احترام حقوق الكائنات الأخرى، التي تمتلك – مثل الإنسان – إحساسًا وحقًا أصيلًا في الحياة والوجود، مما يفرض على الإنسان عدم تجاوز حدوده على حسابها.

وفي السياق نفسه، أكد "نايس" على أهمية حفاظ الإنسان على البيئة التي يعيش فيها، من خلال الحد من هيمنة التكنولوجيا، واتخاذ قرارات سياسية جادة للحد من توسّع النظام الرأسمالي، إلى جانب نشر الثقافة الإيكولوجية العميقة القائمة على التساؤلات الجوهرية. كما وضع مجموعة من الضوابط لاستخدام التكنولوجيا بما يحفظ التوازن البيئي ويحمي الكائنات الأخرى من الضرر. ومع ذلك، يذهب "نايس" إلى أن حق الإنسان في البقاء وتلبية احتياجاته الأساسية قد يُقدَّم أحيانًا على بعض أشكال الوجود غير البشري، عندما يتعارض الحقان في إطار الصراع من أجل البقاء.

رابعاً: التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة، أطروحة دكتوراه للباحثة فتيحة الطويل، الجزائر، جامعة محمد خيضر – بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العام الجامعي 2012 – 2013 م.

وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة الميدانية المحدودة بمدينة بسكرة أن التربية البيئية – بمكوناتها المختلفة – لم تحقق سوى قدر محدود من التقدم داخل مؤسسات التعليم المتوسط، حيث لم تسهم بصورة متكاملة ومتوازنة في تعزيز الترابط والتماسك والاعتماد المتبادل بين عناصرها المختلفة بما يخدم التنمية المستدامة.

ويعود ذلك إلى جملة من العوامل، أبرزها:

1. الخلل الوظيفي للتوجيهات القيمية المرتبطة بالمعلومات التي يُفترض أن تنظّم تفاعلات المتعلمين داخل الصف وخارجه، وعدم قدرتها على التأثير بفاعلية في سلوكهم. وقد انعكس ذلك في بروز مفاهيم ثانوية مرتبطة بالتنمية المستدامة في مراتب متقدمة، في حين جاءت مفاهيم أساسية في مراتب متوسطة أو متدنية، بل منعدمة أحيانًا، ضمن مستويات التعليم المتوسط، خاصة في مادتي التربية المدنية والجغرافيا.
2. ضعف إدماج مفاهيم التربية البيئية والتنمية المستدامة في استجابات التلاميذ لحاجاتهم الأساسية، سواء المعرفية أو الوجدانية أو المهارية، وهو ما حدّ من بناء شخصياتهم بشكل متكامل يسهم في تحقيق التنمية المستدامة.
3. غياب التكامل الاجتماعي في العملية التفاعلية، سواء داخل الصفوف الدراسية أو في إطار الأنشطة اللاصفية مثل النوادي البيئية المدرسية، مما قلّل من فرص تعزيز الوعي البيئي المشترك.

منهج البحث:

سوف يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي بالدرجة الأولى، وذلك من خلال قراءة نصوص ورسائل الكندي قراءة متأنية، واستخلاص ما تتضمنه من رؤى فلسفية وأبعاد أخلاقية متصلة بالإنسان والكون والطبيعة، كما سيتبع البحث أيضاً المنهج التاريخي في تتبع تطور الفكر الفلسفي عند الكندي وربطه بسياقه الثقافي والعلمي في القرن الثالث الهجري.

هيكل البحث:

سوف يشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث، مسبوقة بمقدمة، ومنتهية بخاتمة، وبيانها كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم البيئة والأخلاق بين الفكر الفلسفي، والتراث الإسلامي، ويشتمل هذا المبحث على ما يلي: المطلب الأول: تطور الفكر الفلسفي حول البيئة والأخلاق في الفلسفات القديمة وصولا إلى الفلسفة الإسلامية المعاصرة. والمطلب الثاني: أخلاقيات التعامل مع البيئة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. المبحث الثاني: ملامح الفكر الفلسفي عند الكندي في رسائله الفلسفية، ويشتمل هذا المبحث على ما يلي: المطلب الأول: مكونات البيئة في فكر الكندي من خلال الرسائل. المطلب الثاني: العلاقة بين البيئة والطبيعة والتعامل الأخلاقي.

المبحث الثالث: رؤية الكندي للوجود الكوني ووحدة النظام البيئي، ويشتمل هذا المبحث على ما يلي: المطلب الأول: مفهوم التوازن والانسجام في الفكر الفلسفي عند الكندي. المطلب الثاني: مسئولية الإنسان في الحفاظ على التوازن البيئي. ثم الخاتمة، وتتضمن أهم نتائج الدراسة، والتوصيات العامة.

المبحث الأول ــ مفهوم البيئة والأخلاق بين الفكر الفلسفي، والتراث الإسلامي.

المطلب الأول ـ تطور الفكر الفلسفي حول البيئة والأخلاق في الفلسفات القديمة وصولا إلى الفلسفة الإسلامية المعاصرة.

لقد كانت نظرة الفلسفات القديمة لأخلاقيات البيئة قائمة على فكرة اعتبار الإنسان مقياساً لكل ما يحيط به من مقومات الحياة ومن الكون بأسره، حيث أن الإنسان يتميز بملكة العقل والتفكير وبالتالي فهو قادر على استغلال كل ما يحيط به لكي يكوّن حياة مدنية قائمة على احترام الطبيعة والبيئة التي يعيش بها، وقد عبر الفلاسفة القدامي عن هذا الأمر، فنجد أن أفلاطون يقول : " لقد كان البشر في البدء يعيشون متفرقين فلم يكن هناك مدن، لهذا كانوا فريسة للحيوان المتوحش حيث كانوا أضعف منه في كل الأوجه، ذلك أنهم لم يكونوا حائرين على الفن السياسي، لهذا حاولوا أن يجتمعوا وأن يدافعوا على أنفسهم بتأسيس المدن .. "1.

وفي محاورة فايدروس، ذكر افلاطون على لسان سقراط قوله : " لتكن سمحاً معي يا عزيزي، فأنا أحب العلم، لكن الريف والأشجار لا ترضى بتعليمي شيئاً، بل رجال المدينة هم الذين يعلمونني .. "2.

ويرى الفيلسوف بول تايلور أن أخلاقيات البيئة هي دراسة للعلاقات الأخلاقية التي تنشأ بسبب تفاعل البشر مع العالم الطبيعي، ومهمتها تسليط الضوء على القواعد الأخلاقية التي تحكم هذه العلاقات، والتي تحد واجباتنا والتزاماتنا ومسؤوليتنا تجاه البيئة، وكل الكائنات الحية التي تعيش في هذه البيئة 3.

أما الدو ليوبولد فيقول في مقدمة كتاب A Sand country Almanac : " يستطيع البعض الحياة بدون الموجودات البرية، والبعض لا يستطيع، وتلك الأمور البرية مثل غروب الشمس والرياح، كان يتم اعتبارها أمور مجانية حتي بدأ التقدم يؤدي الي انفراضها والتخلص منها، ونحن أمام التساؤل :هل الرفاهية والتقدم تكون علي حساب الحياة البرية ؟ "4.

ويمكن القول أننا أمام تطور النظرة الفلسفية لأخلاقيات البيئة، حيث كانت الفلسفات القديمة التي اعتبرت الإنسان مقياسًا للكون ومحورًا للاستغلال بسبب ملكة العقل، وكان أفضل دليل على ذلك هو أفلاطون الذي ربط تأسيس المدن بتمكين البشر من الدفاع عن أنفسهم والخروج من حالة الفريسة إلى الطبيعة والبيئة المحيطة وما تحويه من مرتكوات ومقومات، وتركيزه على المعرفة في محيط المدينة بدلاً من الريف. ثم كانت آراء الفلاسفة المعاصرين لأخلاقيات البيئة، مثل بول تايلور الذي يحددها كدراسة للعلاقات الأخلاقية بين البشر والعالم الطبيعي وتحديد الواجبات والمسؤوليات تجاه الكائنات الحية، وأخيرًا ألدو ليوبولد الذي يطرح تساؤلاً نقديًا حول ثمن التقدم والرفاهية في مقابل تدهور الحياة البرية وانقراضها، مما يُظهر تحولاً من النظرة المركزية للإنسان في الفكر القديم إلى النظرة التي تولي أهمية أخلاقية مستقلة للطبيعة في الفكر المعاصر.

أما الفلسفة الإسلامية، فقد أولت كذلك اهتماما بالغاً بأخلاقيات البيئة، حيث يتفق المفكرون المسلمون مع تشخيص غيرهم لمشكلة البيئة؛ فالإنسان هو المسؤول عما حدث في الطبيعة نتيجة إيثاره لمصالحه ورغباته في تحقيق الرفاهية والربح المادي والتقدم الصناعي على حساب البيئة5.

وإذا رجعنا إلى فلسفة ابن سينا، فنجد أنه قد ألف في الطب العديد من المصنفات، من أهمها كتاب (القانون) الذي خصه بالحديث عن الطب وأحواله، والبيئة وأحوالها، وبعض الأخلاقيات التي لابد من توفرها؛ فتحدث عن تأثير الهواء المحيط بالأبدان، وكيف أن الهواء عنصر لأبداننا وأرواحنا، ومع أنه عنصر لأبداننا وأرواحنا فهو مادة يصل إلى أرواحنا .وتحدث عن الهواء النقي الصافي المعتدل، الذي قال فيه : "ما دام معتدلا وصافيا ليس يخالطه جوهر غريب مناف لمزاج الروح؛ فهو فاعل للصحة، وحافظ لها؛ فإذا تغير فعل ضد فعله "، ثم تحدث عن الفصول الأربعة وتعابيرها، حيث إن لكل فصل ما يوافق المزاج الصحي المناسب له، ويخالفه من به سوء مزاج غير مناسب له ، ثم تحدث عن تغير الزمان في فصل واحد وكيف أنه آيل جلبًا للوباء من تغيره في فصول كثيرة تغيرًا جالبًا للوباء، و أن أولى أمزجة الهواء بأن يستحيل إلى العفونة هو مزاج الهواء الحار الرطب، وأكثر ما تعرض تغيرات الهواء إنما هو في الأماكن المختلفة الأوضاع والغائرة، ويقل في المستوية والعالية خصوصًا. ثم تحدث عن الهواء الجيد وصفاته، فيقول" :الهواء الذي ليس يخالطه من الأبخرة والأدخنة شيء غريب، وهو مكشوف للسماء، غير محتون للجدران والسقوف

اللهم إلا في حال ما يصيب الهواء فساد عام؛ فيكون المكشوف أقيل له من المغموم والمحجوب وفي غير ذلك فإن المكشوف أفضل، ثم تحدث عن مجاورة البحر وأثرها على البيئة فيقول" :مجاورة البحر توجب ترطيب الهواء ثم إن كثرت الرياح وتسربت ولم تعارض بالجبال؛"6.

إن المتأمل في طرح ابن سينا يدرك أن اهتمام الفلسفة الإسلامية بأحوال البيئة لم يكن مسألة عَرَضية أو هامشية، بل كان جزءًا أصيلًا من النظر الفلسفي الشامل إلى الإنسان والكون. فحديثه عن الهواء النقي، وعن تأثير التغيرات المناخية والفصول، وعن أثر مجاورة البحر على صحة الأبدان، يكشف عن وعي مبكر بضرورة المواءمة بين الطبيعة ومتطلبات الإنسان الصحية والمعيشية، وهذا الوعي يتجاوز مجرد الملاحظات الطبية، ليتأسس على رؤية أخلاقية تجعل من الحفاظ على البيئة مسؤولية إنسانية وأمانة وجودية. فالفكر الفلسفي الإسلامي، كما يظهر عند ابن سينا، لا يفصل بين الأخلاق والبيئة، بل ينظر إلى التوازن الطبيعي بوصفه شرطًا لاستقامة حياة الإنسان الجسدية والروحية على السواء، ومن ثم فإن أخلاقيات البيئة، في هذا السياق، ليست مجرد توصيات وقائية، وإنما هي امتداد لمنظومة القيم التي تدعو إلى الاعتدال، والرعاية، وحسن التعامل مع ما أودع الله في الكون من عناصر وطاقات. وهنا تتجلى قيمة الفكر الإسلامي في تقديم أسس أخلاقية أصيلة تصلح لبناء وعي بيئي متجدد في مواجهة تحديات العصر.

وقد استقى الفلاسفة المسلمون تعاملهم مع البيئة على أساس من الكتاب والسنة النبوية المطهرة كما سيظهر ذلك في المطلب التالي.

المطلب الثاني ـ أخلاقيات التعامل مع البيئة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

على الجانب الديني نجد أن اهتمام الكتب المقدس بالبيئة وأخلاقياتها قد بدأ من الفقرة الأولى في سفر التكوين بالعهد القديم في الكتاب المقدس فقال الله : " **فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ."7.**

أما منهج القرآن الكريم، فعلى الرغم من عدم ورود مصطلح "البيئة" بشكل رئيسي في القرآن، إلا أن مدلولها كان حاضراً في آيات عديدة من النص القرآني كلفظة "الأرض "و "السماوات" وغيرها من الدلالات.

ومن بين الآيات التي وردت في القرآن الكريم: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ "8.

كما أمر الله تعالى الناس بعدم الإفساد في البيئة، والتي جاءت بلفظة الأرض، فقال تعالى: " ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ "9، كما بين سبحانه وتعالى أن إفساد الأرض يأتي من خلال العوامل الخارجية المتمثلة في الإنسان، فقال سبحانه : " ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾"10.

ثم تحدث سبحانه وتعالى عن الكائنات الموجودة في الطبيعة والبيئة التي سخرها الله تعالى للإنسان، فوصف هذه الكائنات بأنها أمم أمثالنا، فقال جل شأنه: " ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾"11.

وبناء على ذلك فإن هناك منهجاً من التوافق الأساسي بين الكتب السماوية والفلسفة الدينية في إرساء أخلاقيات البيئة، حيث يؤكد سفر التكوين على الأسبقية الإلهية في خلق الكون، مشيرًا إلى أن البيئة هي نتاج عمل إلهي متكامل، بينما يوضح المنهج القرآني -رغم غياب مصطلح "البيئة"- رؤية شاملة للكون تقوم على مبدأ التوازن والتقدير، متمثلاً في خلق كل شيء "موزون" كنظام دقيق، ويشدد القرآن على مسؤولية الإنسان بصفته خليفة الله في الأرض، فيأمر بعدم الإفساد فيها بعد إصلاحها، ويُحمّل الإنسان مسؤولية تدهور البيئة ، وأن هذا التدهور يكون نتيجة فعلية لما كسبته يداه من إفساد وتخريب في الكون، سواء من قطع للأشجار أو صيد جائر للحيوانات أو تخريب في البنية الأساسية للكون، وغيرها من شتى سبل الفساد، مما يضع التدهور البيئي ضمن دائرة المحاسبة الأخلاقية والدينية، كما يعمق المنظور القرآني العلاقة بالكائنات الأخرى بتصويرها على أنها "أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ"، مانحًا إياها قيمة ذاتية وحقًا في الوجود، ومرسخًا مبدأ الاستدامة والرحمة في التعامل مع جميع مكونات الطبيعة.

من جهة أخرى فقد جاءت السنة النبوية المطهرة مؤكدة لمقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الكون وصيانة عناصره، فوضعت للإنسان ضوابط أخلاقية واضحة تحكم علاقته بالبيئة من نبات وحيوان وماء وهواء وأرض. وقد تميزت هذه الضوابط بالشمول والاتزان، حيث جمعت بين حق الإنسان في الانتفاع بخيرات الطبيعة وبين واجبه في المحافظة عليها وعدم الإفساد فيها.

فقد حضّ النبي صلى الله عليه وسلم على غرس الأشجار ورعايتها، فقال: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل12".

وفي مجال التعامل مع الحيوان، شددت السنة على الرفق والرحمة، فنهت عن تعذيبه أو قتله بغير حق، وجعلت في رعايته وإطعامه قربة من الله تعالى، كما جعلت في إيذائه أو التفريط فيه وزرًا وإثمًا، ومن ذلك عندما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم، في شأن امرأة حبست هرة حتى ماتت، فقال هي في النار، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم " دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض "13.

وبالتالي، فإن منهج السنة النبوية في التعامل مع البيئة يتسم بالشمول والتوازن، حيث لم تقتصر توجيهاتها على جانب واحد من عناصر الطبيعة، بل غطّت مختلف الأبعاد البيئية التي يتعامل معها الإنسان في حياته اليومية: من النبات إلى الحيوان، ومن الماء إلى الأرض والهواء. ويقوم هذا المنهج على رؤية قيمية عميقة تجعل من الاستخلاف في الأرض مسؤولية أخلاقية قبل أن يكون مجرد حق في الانتفاع. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يحث على الغرس والإعمار فحسب، بل قرن ذلك بالبعد الإيماني، حتى جعل غرس فسيلة عند قيام الساعة عملاً صالحًا يثاب عليه المسلم، وهو ما يعكس تصورًا حضاريًا مستقبليًا لأهمية استمرار العطاء والإصلاح. وفي المقابل، شددت السنة على الرحمة بالحيوان والنهي عن تعذيبه أو التفريط فيه، لتؤكد أن التعامل مع الكائنات الحية ليس مسألة نفعية بحتة، بل يدخل في صميم المسؤولية الأخلاقية للإنسان. وبهذا يمكن القول إن السنة النبوية وضعت إطارًا أخلاقيًا متكاملًا يحكم علاقة الإنسان بالبيئة، يقوم على التوازن بين المنفعة والحفاظ، وبين الاستعمال والرحمة، وهو إطار لا يزال صالحًا لبناء وعي بيئي رشيد في عصرنا الحاضر.

المبحث الثاني ـملامح الفكر الفلسفي عند الكندي في رسائله الفلسفية.

المطلب الأول ـ مكونات البيئة في فكر الكندي من خلال الرسائل.

لقد بدأ الكندي رحمه الله تعالى كتابه (الرسائل) وتحديداً في الجزء الثاني منه بكتاب يسمى (كتاب الجواهر الخمسة)، حيث بدأ بقوله : " قال الحكيم أرسطو طاليس في أول الجدل: "إن علم كل شيئ، يُنظر فيه يقع [أو ينطوي] تحت الفلسفة التي هي علم كل شيئ." ولذلك كان أول ما ينبغي أن تُقسم الفلسفة من حيث كونها ذلك العلم، وأن يُنظر تحت أي قسم منها ينطوي الشيء. فالفلسفة تنقسم إلى علم وعمل، [أعني إلى نظرية وعملية]؛ وذلك أيضاً لأن النفس تنقسم إلى قسمين هما: الفكر أو العقل والحس، كما بيّنا في كتاب المقولات. فإذ كانت الفلسفة ليست سوى نظم النفس، فإنه يحسن ها أن

تنقسم إلى قسمين، لأنه كما أن النفس تنقسم إلى فكر [أو عقل] وحس، فكذلك تنقسم الفلسفة إلى علم وعمل، بحيث يكون العلم هو القسم العقلي، والعمل هو القسم الحسي. والجزء العقلي من النفس ينقسم إلى علم الأشياء الإلهية وعلم الأشياء المصنوعة؛ و ذلك لأن من الأشياء ما لا يفارق الهيولى، [أعني أنها ليست سوى الهيولى]؛... "[14].

يُظهر الكندي منذ بداية كتاب الجواهر الخمسة انشغاله بالجانب الكوني والأنطولوجي للفلسفة، حيث أسس تقسيمه للعلم إلى نظري وعملي على أساس ثنائية النفس بين الفكر والحس. وهذا التقسيم يعكس إدراكه أن علاقة الإنسان بالوجود ليست مجرد معرفة عقلية مجردة، وإنما هي أيضًا علاقة عملية حسية تُترجم في السلوك والتفاعل مع العالم المادي. ومن هنا يمكن القول إن الكندي يضع لبنة أساسية لفهم البيئة ضمن منظومة فلسفية لا تفصل بين النظر والعمل، بل تؤكد أن الانخراط في الطبيعة ينبغي أن يكون محكومًا بقواعد عقلية وأخلاقية معًا.

ويقول: " أما الأشياء التي تكون في كل الجواهر خمسة: أحدها هو الهيولى، والثاني هو الصورة، والثالث هو المكان، والرابع هو الحركة، والخامس هو الزمان."[15].

وعند حديثه عن "الجواهر الخمسة" — الهيولى، الصورة، المكان، الحركة، الزمان — يبرز الكندي تصورًا شموليًا للوجود يقوم على الترابط بين العناصر المكونة للطبيعة. فكل جوهر لا يمكن أن يُتصور إلا ضمن إطار مادي (هيولى) وصوري (صورة) ومكاني وزماني وحركي، وهذا التصور يرسّخ فكرة أن البيئة ليست مجرد إطار خارجي يعيش فيه الإنسان، بل هي نسيج متكامل من العناصر المترابطة، بحيث يؤدي الإخلال بجزء منها إلى اضطراب الكل، وهنا تتضح ملامح رؤية أخلاقية ضمنية، إذ إن إدراك وحدة البيئة وتكامل عناصرها يفرض على الإنسان التعامل معها بوعي ومسؤولية، بعيدًا عن العبث أو الاستغلال المفرط.

" ففي كل شيء فيه جوهر توجد هيولى يكون منها، وصورة يُرى بها ويتميّز بها عن الأشياء الأخرى بالبصر، ومكان يوجد فيه بكل نهاياته؛ وذلك لأنه لا جسم يتهيأ له أن يكون موجوداً إلا في مكان وفي نهايات. وفيه أيضاً حركة يوجد بها كونه. ولهذا ذاتي في المكان والزمان، لأن الزمان عدد الحركة. فإذا بينا أن كل جسم فيه حركة، وأن كل حركة من مكان إلى مكان، فبيّن أن فيه زماناً."[16].

وعندما تحدث عن الحركة وعلاقتها بالبيئة قال: " أما الحركة فهي تنقسم إلى ستة أنواع :أولها الكون، وثانيها الفساد، وثالثها الاستحالة، ورابعها الزيادة، وخامسها الاضمحلال، وسادسها النقلة من مكان إلى مكان، فأما **الكون** فهو لا يكون إلا في

الجوهر، ككون الإنسان من الحرارة والبرودة؛ وكذلك **الفساد** لا يكون إلا في **الجوهر**، كما إذا صار الإنسان أرضاً."17.

أما حديثه عن الحركة وأقسامها الستة (الكون، الفساد، الاستحالة، الزيادة، الاضمحلال، النقلة)، فإنه يعكس وعيًا عميقًا بالطابع الديناميكي للطبيعة. فالحركة عند الكندي ليست مجرد انتقال فيزيائي، بل هي شرط وجود الأشياء وتحوّلها المستمر. واللافت هنا أنه ربط بين الكون والفساد بالجوهر نفسه، أي أن الطبيعة قائمة على التجدد والتغير، وأن الفساد جزء من مسارها الطبيعي لا يمكن عزله. ومن هذه الرؤية يمكن استنتاج بعد أخلاقي بيئي مهم: وهو أن مسؤولية الإنسان تكمن في التكيف مع قوانين الطبيعة واحترام حركتها الداخلية، لا في محاولة السيطرة المطلقة عليها أو تعطيل قوانينها. فالبيئة عند الكندي كيان حي متحول، يتطلب من الإنسان التعامل معه برؤية متوازنة قائمة على الإدراك العقلي والالتزام العملي.

من خلال تحليل نصوص الكندي في *كتاب الجواهر الخمسة* وغيره من رسائله، يمكن استخلاص مكونات البيئة عنده في ضوء العناصر الجوهرية التي اعتبرها أساسًا لوجود كل كائن طبيعي، وهي:

1. **الهيولى (المادة الأولى)**: تمثل العنصر المادي الخام الذي تتكون منه الموجودات، فهي أساس التشكّل الطبيعي ومصدر القابلية لكل الصور، وهذا يضع الهيولى في منزلة الركيزة البيئية الأولى التي تمنح الكائنات وجودها المادي.
2. **الصورة**: هي العنصر الذي يمنح الشيء تميزه وصفته الخاصة، ويجعله مغايرًا لغيره، ومن منظور بيئي، فإن الصورة تعكس التنوع الحيوي الذي يميز الكائنات الحية والطبيعة عامة، وهو تنوع ينبغي الحفاظ عليه وعدم طمسه أو تدميره.
3. **المكان**: يرى الكندي أن كل جسم لا يمكن أن يوجد إلا في مكان، وأن المكان شرط لوجود المادة والصورة معًا، وهذا يبرز البعد المكاني للبيئة باعتبارها المجال الذي يحتضن الموجودات ويحفظ توازنها.
4. **الحركة**: وهي عند الكندي شرط الوجود الفعلي لكل جسم، وتتخذ صورًا متعددة مثل الكون والفساد والاستحالة والنقلة. ومن منظور بيئي، فإن الحركة تجسد ديناميكية الطبيعة وتجددها المستمر، مما يستدعي من الإنسان التكيف مع قوانينها بدلًا من معارضتها.

5. **الزمان**: يرى الكندي أن الزمان هو الإطار الذي تقع فيه التغيرات والتحولات، وهو بعد أساسي لفهم البيئة من حيث تطورها عبر الدورات والفصول والتحولات الزمنية، مما يبرز أهمية إدراك الطبيعة كعملية مستمرة لا كيان ثابت.

المطلب الثاني ـ العلاقة بين البيئة والطبيعة والتعامل الأخلاقي.

يرى الكندي أن المحور الأساسي الذي يربط بين البيئة والطبيعة وكيفية التعامل معهما هو محور الزمان، ولذلك فإنه قد وضع أساساً يرتكز عليه في حديثه عن الزمان، بل إنه قد خصص له فصلاً كاملاً في رسائله، فقال : " واختلاف الفلاسفة أيضاً في الزمان :فبعضهم قالوا إنه الحركة ذاتها، و بعضهم قالوا إنه ليس هو الحركة. فلا بد لنا من أن نميز صواب هذين القولين من خطئهما. وذلك بأن نقول إن الحركة الكائنة في شيء توجد في خواص [ذلك] الشيء المتحرك، وإن تلك الحركة لا توجد في أي شيء من ذلك النوع إلا في ذلك. أما الزمان فهو يوجد في كل شيء بنوع واحد أو وجه واحد، ولا يكون اختلافه باختلاف الأشياء .فقد اتضح إذن أن الزمان ليس هو الحركة، وأنه قد كذب الذين قالوا إن الزمان هو الحركة ذاتها. وأيضاً قد اتضح [أن] السرعة والبطء الكائنين في الحركة لا يُعلمان إلا بالزمان، وذلك لأننا نسمي البطيء [أو البطئ] ما يتحرك في زمان طويل، والسريع [أو السرعة] ما يتحرك في زمان قصير. أما ماهية الزمان فلا تعلم إلا من هذا الوجه الذي أحكيه: وذلك بأن يقال إن الآن يصل الزمان الذي مضى والذي هو مستقبل، ولكن الآن الموجود بينهما لا بقاء له، لأنه ينقضي قبل تفكيرنا فيه." [18].

ويتضح أن الكندي جعل **الزمان** محورًا جوهريًا لفهم العلاقة بين الطبيعة والبيئة، وذلك لأنه يمثل البعد الذي يربط بين الحركة والتغير من جهة، وبين إدراك الإنسان لسير الظواهر الطبيعية من جهة أخرى.

1. **تمييز الزمان عن الحركة**: الكندي ينطلق من نقد الآراء الفلسفية السابقة التي اعتبرت أن الزمان هو الحركة عينها، فيؤكد أن هذا الخلط غير دقيق. فالحركة تتحدد بخواص الشيء المتحرك، بينما الزمان يعم جميع الأشياء ويقيس حركتها على نحو كلي. بهذا يضع أساسًا للتفريق بين **الزمان كمقياس** و**الحركة كمضمون**، وهو تمييز يفتح الباب لفهم أكثر دقة لطبيعة التغيرات البيئية.
2. **الزمان مقياس للسرعة والبطء**: يوضح الكندي أن مفهومي السرعة والبطء لا يُدركان إلا بالزمان، حيث إن الحركة السريعة تُعرف بزمان قصير، والبطيئة بزمان

طويل. هذه الرؤية تكشف عن إدراكه لدور الزمان في تنظيم الظواهر الطبيعية، بحيث يصبح أداة لضبط فهم التوازن البيئي وتدرج الظواهر فيه.

3. **ماهية الآن واللحظة العابرة**: يعالج الكندي مفهوم "الآن" باعتباره الحدّ الفاصل بين الماضي والمستقبل، لكنه ينفي أن يكون "الآن" نفسه زمانًا، لأنه يزول بسرعة قبل أن يثبته الفكر. غير أن تتابع هذه "الآنات" هو الذي يكوّن إدراكنا للزمان. هذه الفكرة تجعل الزمان إطارًا إدراكيًا وحسّيًا في آن واحد، يعكس طبيعة الوجود المتغير.
4. **الزمان بوصفه عددًا للحركة**: ينتهي الكندي إلى تعريف قريب مما قاله أرسطو: أن الزمان هو "عدد للحركة"، أي أنه مقياس يُعطي صورة عن الامتداد (المدد) بين قبل وبعد. غير أن إضافة الكندي تكمن في ربط هذا التعريف بالجانب المعرفي والإدراكي للإنسان، أي أن الزمان ليس مجرد حقيقة فيزيائية، بل أيضًا مقولة عقلية تتيح للإنسان فهم حركة الطبيعة.

ثم يقول الكندي في موضع " فهذا الآن ليس زماناً، ولكن إذا اعتُبر في العقل من آن إلى آن، فإننا نضع أن فيهما يوجد زمان. وإذن ففي هذا دليل على أن الزمان ليس في شيئ سوى الـ (قبل) والـ (بُعد)، فهو إذن ليس سوى المدد. وإذن فالزمان هو عدد عادّ للحركة."[19].

كما يمكن القول إن اهتمام الكندي بالزمان لم يكن تنظيرًا ميتافيزيقيًا بحتًا، بل كان له بعد عملي يرتبط بالتعامل مع البيئة:

- إدراك التغير الطبيعي لا يتم إلا عبر وعي الإنسان بالزمان.
- الحفاظ على البيئة يستلزم فهم قوانين التدرج والبطء والسرعة في الطبيعة، وهو ما يتيح التعامل معها باعتدال واتزان.
- الزمان يصبح بذلك المحور الأخلاقي الذي يربط سلوك الإنسان بالنظام الطبيعي، حيث يُدرك أن لكل ظاهرة وقتها ومداها، فلا يجوز تجاوز حدودها أو استعجال ثمارها.

المبحث الثالث ـ رؤية الكندي للوجود الكوني ووحدة النظام البيئي.

المطلب الأول ـ مفهوم التوازن والانسجام في الفكر الفلسفي عند الكندي.

يعد مفهوم التوازن والانسجام من الأساسيات الفكرية في فلسفة الكندي، باعتباره قانونًا يضبط علاقة الإنسان بالطبيعة، ويضمن استقامة سير الظواهر الطبيعية والأخلاقية على حد سواء، وقد صاغ الكندي رؤية متفردة تنسجم مع البعد الإسلامي الذي يركز على وحدة الخلق وحكمة الخالق.

يقول الكندي إن علوم الفلاسفة والعلوم البشرية العادية إنما تأتى ثمرة لتكاليف البحث والحيلة والقصد إلى المعرفة والاعتداد بالرياضيات والمنطق في زمان طويل، طبقاً للمنهج العلمي والفلسفي، أما علوم الأنبياء ـ وهي تشمل ما تشمله علوم الفلسفة من حقائق ظاهرة وخفية ـ فهي غير محتاجة إلى شيء مما تقدم، لأنها تكون عن طريق فعل إلهي في نفوس الأنبياء، وهذا الفعل يطهرها وينيرها ويهيئها للعلوم الإلهامية بإرادة الله. وهذه في نظر الكندي خاصة نجمية تعلو على الطبيعة، وهي تميّز بين الأنبياء وبين غيرهم وتؤثر في الناس فيخضعون للأنبياء وينقادون إليهم، كأنما قد انعقدت الفطر الإنسانية على تصديق الأنبياء وقبول علومهم.0[2].

ويقول أيضاً: " أما من حيث الخصائص فإنا نجد علوم الأنبياء ـ عند تأمل صورتها اللفظية ـ مُرْجَزَة ببيئة محيطة بالمطلوب قريبة السبيل إلى العقل النير الصافي، لأنها تفيض عن عين العلم الإلهي الأزلي الكامل الذي لا نهاية له. ويضرب الكندي لذلك مثلاً من الوحي الذي نزل على محمد عليه السلام، وهو ما جاء في القرآن جواباً عن سؤال وجهه منكر والبعث من العرب، وهو قولهم: (من يحي العظام وهي رميم) " [21].

لقد وضع الكندي تمييزًا جوهريًا بين نوعين من العلوم: علوم البشر القائمة على البحث والاستقراء والتجربة العقلية، وعلوم الأنبياء التي تنبثق من مصدر إلهي مباش، هذا التمييز لا يعني عنده فصلًا بينهما، بل هو تدرج في مراتب المعرفة؛ فالعلوم الفلسفية تقترب شيئًا فشيئًا من إدراك حقائق الوجود، بينما العلوم النبوية تصل إليها على نحو كامل ومباشر، لأنها صادرة عن "العلم الإلهي الأزلي الكامل".

كما يرى الكندي يؤكد أن العلوم النبوية ـ بخلاف العلوم المكتسبة ـ تكشف عن وحدة النسق الكوني والبيئي. فالوحي لا يقدّم مجرد أحكام تشريعية أو أخبار غيبية، بل يضع للإنسان منهجًا في التعامل مع الكون يقوم على التوازن، ويؤكد أن عناصر الوجود (الإنسان، الطبيعة، الزمان، الحياة) خاضعة لقانون واحد صادر عن الله، ومن هنا، فإن فهم الإنسان للوحي يعني إدراكه أن البيئة ليست ملكًا مطلقًا له، بل هي جزء من نظام شامل يجب التعامل معه برؤية أخلاقية تحفظ التوازن.

إضافة لذلك، فإن استشهاد الكندي بالآية يبرز أن الوحي يقدّم أقوى براهين الوجود والحياة في أبسط صياغة، فالسؤال عن البعث يُجاب عنه في القرآن بلفظ موجز يلخّص حقيقة كونية كبرى: أن القدرة الإلهية التي خلقت من العدم قادرة على

الإعادة، وهنا يظهر إدراك الكندي لوظيفة النص القرآني في تأكيد وحدة النظام الكوني والحيوي، حيث الحياة والموت والبعث كلها حلقات في دورة واحدة تحكمها سنن الله.

المطلب الثاني ـ مسئولية الإنسان في الحفاظ على التوازن البيئي.

يرى الفلاسفة أن المصالح الاجتماعية تتركز في خمسة أمور يسمونها بالضرورات الخمس لأنها أمهات لكل الأحكام الفرعية. وهي واجبة على كل مسلم من أجل الحفاظ على نفسه وأهله ومجتمعه، هذه الأمور أو الضرورات هي :حفظ النفس وحفظ العقل وحفظ الدين وحفظ المال وحفظ النسل، ويكون الحفاظ على النفس بحمايتها وصيانتها والمحافظة عليها من أي سوء أو ضرر أو اعتداء عليها أو إزهاق لها إلا بالحق. وتكون المحافظة على العقل بحمايته من التلف ومن كل ما يعيقه عن أداء وظائف وفي مقدمتها التفكير22.

ويمثل الحفاظ على التوازن البيئي مهمة الإنسان وحده، يقول الدكتور محمد البهي: " فالتوازن الذي يطلبه الدين هو :التوازن في الفرد بين ثنائيته، وفي المجتمع بين طبقاته، بحيث يكون للفرد الحرية ولكن في نطاق الإنسانية ويكون في المجتمع تفاضل ولكن في غير طغيان. والتوازن الذي تطلبه الفلسفة المثالية أن تكون للدولة قيمة عليا، ولكن يكون الفرد مع ذلك هو صانع الدولة والمجتمع معا، ولذا يجب على الفرد أن يكون عضوا حرا في المجتمع، وعلى المجتمع أن يصون حريته ويرعى مصالحه. فتوازن الدين والفلسفة ... توازن "توزيع "و"تقابل "لا توازن "سلب "ثم "تسخير".23.

ويتضح من كلام الفلاسفة أن المسؤولية الأولى في حفظ التوازن البيئي تقع على عاتق الإنسان، لأنه المستخلف في الأرض، وهو الكائن الوحيد الذي يمتلك القدرة على إدراك قوانين الطبيعة والتأثير فيها. فإذا كان الشرع قد جعل من حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل ضرورات أساسية لضمان استقرار المجتمع، فإن هذه الضرورات لا يمكن أن تُصان إلا في ظل بيئة متوازنة، سليمة العناصر، محمية من الفساد والاعتداء. فالاعتداء على البيئة في جوهره هو اعتداء على هذه الضرورات الخمس ذاتها؛ إذ يؤدي إلى تهديد النفس بالأمراض والموت، وإضعاف العقل بالملوثات والمخدرات، وإفساد النسل بتلويث مقومات الحياة.

ويؤكد كلام الدكتور محمد البهي أن الدين والفلسفة يلتقيان في تصور التوازن بوصفه قيمة عليا، ليس توازنًا يقوم على القهر أو التسخير، وإنما على "التوزيع والتقابل"، أي المشاركة العادلة بين الفرد والمجتمع، وبين الإنسان والبيئة. فكما أن على المجتمع

واجب رعاية مصالح أفراده وصيانة حرياتهم، فإن على الإنسان واجبًا موازيًا في رعاية البيئة وصون عناصرها. وهنا يظهر البعد الأخلاقي العميق: أن حماية البيئة ليست ترفًا فكريًا ولا مطلبًا ثانويًا، بل هي شرط أساسي لضمان بقاء الإنسان وحضارته واستمرارية الحياة.

وعليه، فإن المحافظة على التوازن البيئي ليست مجرد التزام أخلاقي فردي، بل هي تكليف شرعي وفلسفي جماعي، يعكس وحدة النظام الكوني وتكامل وظائفه، ويؤكد أن الإنسان مسؤول أمام الله وأمام الأجيال القادمة عن أي إخلال يفسد هذا التوازن الدقيق.

خاتمة :

يتضح من خلال هذه الدراسة أن قضية البيئة ليست مسألة عَرَضية في الفكر الفلسفي أو الإسلامي، بل هي ركن أصيل في بناء المنظومة الأخلاقية والمعرفية للإنسان. فقد أبرزت الفلسفات القديمة مركزية الإنسان في الكون واعتبار الطبيعة مجرد مجال للاستغلال، بينما تطورت الرؤية المعاصرة لتمنح الطبيعة قيمة مستقلة وتقرّ بواجبات أخلاقية تجاهها. أما الفلسفة الإسلامية، كما عند ابن سينا والكندي، فقدّمت تصورًا متوازنًا يجمع بين البعد العلمي والبعد الأخلاقي، حيث ارتبطت أحوال البيئة بمسؤولية الإنسان في صيانة نفسه ومجتمعه، في ضوء تكليف الشرع له بالاستخلاف.

وقد كشف تحليل رسائل الكندي عن رؤية عميقة للوجود الكوني، تقوم على ترابط العناصر الجوهرية (المادة، الصورة، المكان، الحركة، الزمان) بما يجعل البيئة نظامًا متكاملاً، يفرض على الإنسان التعامل معه بوعي ومسؤولية. كما أبرزت دراسته لمفهوم التوازن والانسجام أن الحفاظ على البيئة ليس مطلبًا مادّيًا فحسب، بل قيمة إنسانية ودينية وفلسفية تؤكد وحدة الخلق وحكمة الخالق.

النتائج:

1. أخلاقيات البيئة امتداد لمنظومة القيم الإسلامية والفلسفية.
2. الفكر الإسلامي سبق غيره في الربط بين الصحة، الطبيعة، والبيئة.
3. الكندي قدّم تصورًا بيئيًا شموليًا قائمًا على التوازن والانسجام الكوني.
4. يعد الكندي من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بالربط بين البيئة والإنسان
5. كان اهتمام الفلاسفة المسلمين قائما على أسس من القرآن والسنة

6. على الرغم من أن ابن سينا قد خصص كتاب القانون في الطب للبحث في الأمراض والأوبئة وكيفية علاجها، إلا أنه قد تحدث في كتابه هذا عن وسائل الربط بين الإنسان والبيئة.
7. هناك تناغم وتوافق بين القرآن والسنة وبين الانسجام الكوني.
8. يُعد الحفاظ على مقومات البيئة من أولويات الفلسفة الإسلامية، فضلا عن ربطها بالقرآن والسنة.
9. لقد ربط الكندي من خلال الجواهر الخمسة بين مكونات البيئة على أساس ديني فلسفي عميق.
10. توافقت الفلسفة الإسلامية مع المنهج القرآني في الحفاظ على البيئة وعدم الإفساد فيها بأي وسيلة كانت.

التوصيات:

1. تعزيز الدراسات الفلسفية الإسلامية في قضايا البيئة.
2. استلهام قيم التوازن والاعتدال لحماية الموارد الطبيعية.
3. إدماج البعد الأخلاقي الديني في الخطط المعاصرة للتنمية المستدامة.
4. ضرورة العمل على تفعيل هدي القرآن والسنة في المحافظة على مقومات الحياة.
5. الاهتمام بعقد الندوات والمحاضرات للتعرف على أسس المحافظة على ما وهبه الله تعالى من نعم كثيرة.
6. ضرورة حث الشباب على نشر الفكر الإسلامي في منتدياتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، فيما يتعلق بالتوازن البيئي.
7. ضرورة عمل استبيانات علمية وتربوية لمعرفة الوعي العام لدى الشباب تجاه تلك القضايا.
8. ضرورة تفعيل الأبحاث والرسائل التي تقوم بها المؤسسات الأكاديمية حول المحافظة على مقومات الحياة.

الهوامش :

1- أفلاطون، في السوفسطائيين والتربية، محاورة بروتاغوراس، ترجمة عزت قرني، ط: دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عام 2001 ، ص 91

[2]- أفلاطون، فايدروس، ترجمة أميرة حلمي مطر، ط : دار الغريب، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 2000 ، ص 38

[3] - Paul W. Taylor, Respect for Nature: A Theory of Environmental Ethics, Princeton, Princeton University Press, 2011, p. 3

[4] - Aldo Leopold : A Sand County Almanac and sketchs here there, Oxford University Press New York ,Oxford,1949, p. 1

[5]- عمار الطالبي، عبد الحميد بن باديس: حياته وآثاره، ط : دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر باالشتراك مع دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، الطبعة الأولى، عام 1968 ، ص 269

[6]- راجع : ابن سينا، أبي علي الحسين بن علي بن سينا (ت 428 هـ) ، القانون في الطب، تعليق وتحقيق : محمد أمين الضناوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 1420 هـ / 1999 م ، ج 1 ، ص 122 – 124

[7]- الكتاب المقدس، سفر التكوين ، 1 : 1 – 3

[8] - سورة الحجر، آية 19

[9] - سورة الأعراف، آية 85

[10] - سورة الروم، آية 41

[11] - سورة الأنعام، آية 38

[12] - أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤ هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط : دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م، ج 3 ، ص 545 ، حديث رقم 2181

[13]- محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ط : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥، ص 279 ، حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وهو في سلسلة الصحيحة

[14] - الكندي، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق ونشر : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ملتزم الطبع : دار الفكر العربي ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، عام 1372 هـ / 1953 م ، الجزء الثاني ، ص 5 ، 6

[15] - الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 14

[16]- الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 14

[17] - الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 23 - 24

[18] - الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 32

[19] - الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 34

[20] - الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 55 – 56

[21] - الكندي، الرسائل ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص 56

[22] - راجع : محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط : عالم الكتب ، الطبعة الأولى، عام 1425 هـ / 2005 م ، ص 69 – 70

[23] - محمد البهي (ت 1402 هـ) ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبه، الطبعة: العاشرة، بدون تاريخ ، ص 320 -321